

## El, Allah and Alla

كعادة العديد من الأخوة الأعزّاء، طرح أخونا الأستاذ وائل حنا فكرة تدور حول ماهية العلاقة بين إيل والله مرورًا بمصطلح "إله" واسم "عمّانويل". وكانت مداخلات قيمة من الأصدقاء الدكتور عماد شمعون والأستاذ نديم البستاني والسيد فادي مطر. بهذا الصدد، أحببت أن أدلي بالمتواضع الذي بحوزتي للمنفعة العامة:

لنبدأ بالكلمات التالية:

- "مع": حرف جرّ كنعاني قديم قيد الاستخدام في محكيّتنا الحالية الكنعانية، ولاحقًا حرف جرّ عربي وما زلنا نستخدمه بكتابتنا اللغة العربية. (راجع الصورة)

- "عم": حرف جرّ كنعاني قديم، مرادف لـ"مع". هذا مثال عن Metathesis، حيث تتقلب أحرف داخل كلمة مع الوقت. مثال آخر هو "يم" / "مَي" (ماء بالعربية). مثال آخر "Formaggio" الذي أصبح "Formage" بالفرنسية القديمة وحاليًا "Fromage". مثال آخر "Aks" بالصنف الإفريقي للغة الإنكليزية عوض "Ask" بالأصناف الأخرى أي مثلًا الإنكليزي البريطاني والإنكليزي الأميركي. مثال آخر "كربيت" بدل "كبريت" بالأمهرية (الإثيوبية). تُستخدم "عم" حاليًا في لغتنا المحكية للدلالة على تلازم شخصٍ ما "مع" حصول الفعل بمعنى "أنا مع الفعل" (Present Progressive Tense: I am eating)، نقولها بالفرنسية مع عبارة "En train de" بمعنى "الفعل سارٍ كالقطار"، وبالعربية مع عبارة "في طور (الأكل)" أو "إنّي (أكل)"، فيُقال "عمباكل". لكل لغة قواعدها المحكية، عدا إمكانية قواعد مشتركة بين لغاتٍ متقاربة. (راجع الصورة)

- نا: ضمير للمتكلم المثنى والجمع كنعاني قديم / حالي ولاحقًا سرياني وعربي. (راجع الصورة)

- هـ / ه: ضمير للغائب المفرد كنعاني قديم / حالي ولاحقًا سرياني وعربي. (راجع الصورة)

- إله: كلمة كنعانية قديمة وحالية، ولاحقًا سريانية وعربية. (راجع الصورة)

- إيل: اسم كنعاني قديم لـ"خالق السماوات والأرض" ورئيس الآلهة الكنعانيين عندما كان الكنعانيون وثنيين، وهو تحوير لـ"إله" باقتطاع الهاء. من هنا أسماء علم لقرى ولأشخاص كبديليل، سعدنايل، مخايل، روفائيل... وعندما يُلاحظ شاب في استراليا أو إفريقيا أو ألاسكا اسمه Michael، Emanuel، Raphael، Ismael، أو Samuel، تأكدوا أن لا معنى لأسمائهم إلا باللغة الكنعانية وقد تطرقنا إلى الإرث الثقافي العالمي للحضارة الكنعانية سابقًا.

ملاحظة: نعرف أن أقله في أوغاريت، تم استخدام أحيانًا "إيل" بدل "إله" والعكس.

- الله: اسم عربي للإله خالق الكون، وهو تحوير لفظي (وفق غالبية اللغويين وكما ذكر الأستاذ حنا) لـ"الإله" بحذف الألف الوسطى بعد تأثير اللغة الكنعانية على اللغة العربية، حيث كانت أقوى حينها بفعل مجرى التاريخ والتجارة الكنعانية. وأول ذكر للاسم هو في مملكة كُندا في قرية الفاو في جنوب غرب السعودية في القرن الأول ميلادي، مكتوب بحرف المُسنَد (South Arabian script).

- أَلّا (Alla) (بأول ألف ملفوظة مُبلعمة (Pharyngealized) أي كما في "الله"): اسم كنعاني حديث للإله خالق الكون، وهو تحوير لفظي لـ"الله" بعد تأثير اللغة العربية على اللغة الكنعانية، حيث باتت أقوى بفعل مجرى التاريخ والاحتلال الإسلامي.

ولن ندخل في موضوع "يهوه" و"إلهيم" اللذان هما شأن عبراني وإن من أصل كنعاني، ولا في الإلهة العربية آلات التي هي اختصار لـ"إلهة" (والتاء ضمير مؤنث كنعاني ولاحقاً عربي) أي مؤنث "إله" وفق جزء من اللغويين، حيث البعض الآخر يطرح أساس مختلف للاسم.

إذن، حتى الآن، ممكن القول إن أسماء "إيل" و"ألا" و"الله" هي نفس الاسم لغوياً.

أيضاً، كثنائي استنتاج، "عمّانوئيل" (عم - نو - هو\* - إيل) اسم كنعاني بامتياز، وليس سرياني من أصل كنعاني في السياق الذي طُرح، فقد وُجد في منطقة في بلاد كنعان وخارج المعقل السرياني الذي يقع في شمال شرق سوريا، وفي حقبة ما قبل وجود اللغة السريانية (لن ندخل هنا في التفاصيل المُعقّدة) وعليه، من الأخلاقي (Ethical) القول بكنعانية الاسم، ولا ملامة على من لم يكن يعلم! لو ورد الاسم ضمن سياق سرياني، لصحّ القول بكلمة سريانية من أصل كنعاني، فلا مانع من اقتباس لغةٍ ما كلمة من لغة أخرى.

\* ربما، وعلى الأرجح، دون الـ"هو": عم - نو - إيل.

على صعيد آخر، إن فكرة الله كخالق للكون قد انتقلت من الكنعانيين إلى العرب في زمن قبل الميلاد، كما انها كانت قد انتقلت سابقاً (~ ١٨٠٠ ق.م.) إلى اليهود، ومن اليهود إلى النصارى (الذين بالنهاية هم انشقاق عن اليهود) بعد هدم الهيكل عام ٧٠ ميلادي. لكن ماهية جوهر الله بمعنى كيفية تعاطيه مع أتباعه و ماهية تعاليمه تختلف جوهرياً بين الديانات الثلاث المسيحية، المسلمة واليهودية، على أن الديانة الرابعة التي اختفت خلال حكم عثمان (٦٤٤ - ٦٥٦)، النصرانية، كانت خليط من المسيحية واليهودية وأعطت ما أعطته للإسلام وتشاركته وإياه قبل أن يضيف الأخير أمور أخرى.

بالتالي، كثالث استنتاج، لا يمكن أقول بأن الله هو نفسه في الديانات الثلاث، ولو أنه له سمات مشتركة ككونه خالق الكون، وكنفخه روح في مريم عند المسيحيين والمسلمين.

أخيراً، حول الرابط بين "إيل" و"ألا"، بكُون اسم "عمّانوئيل" هو لقب ليسوع في الديانة المسيحية، فهذا يعني أن "إيل" الكنعانيين الوثنيين ("الوثنيين" بتحفظ ولن أدخل بتوحيديتهم التي سبقت توحيدية اليهود) هو "ألا" المسيحيين الحاليين. وأكثر، فيسوع هو كاهن بناموس جديد على رتبة "ملكي صادق" وفق مار بولس. وملكي صادق هو شخصية توراتية، وكان ملك أورشاليم (القدس للمسلمين) وكاهنها الأعلى الذي سجد له إبراهيم وبورك من قبله باسم "إيل عليون" أي لغوياً بالعربية "الله العلي"، حيث كانت أورشليم مدينة - مملكة (City - state) كنعانية قبل أن يستولي عليها العبرانيون عام ١٠٠٥ ق.م..

أضف اعتبار الكنعانيين الإنسان ابن إيل ("إيل أب آدم" كما مذكور في أوغاريت)، وموت أدون،\* إله القيامة الكنعاني، ثم بعثه حياً بعد ٣ (أو ٨) أيام وقهره الموت، وصرخة يسوع على الصليب "إيلي"، أي My God (الياء أيضاً ضمير متكلم مفرد كنعاني ولاحقاً عربي) (راجع الصورة)، وعادة تقدم الخبز والخمر عند الكنعانيين، وعادة عيد الشعانين عند الكنعانيين (راجع الرابط)، وكون "آدم" و"حوا" هي بالأصل كلمتان (وليس تحديداً أسماء) كنعانيتان تعنيان "رجل" و"حياة" (بالكنعانية القديمة، "آدم" = رجل، و"حو" و"حي" = حياة، راجع الصورتان)...

\* ماهية أدون لا تقتصر على كونه إله القيامة، لا بل استخدم اسمه كصفة لـ"إيل"، ولن ندخل في باقي التفاصيل. ممكن مراجعة أيضاً "الكنعانيون الفينيقيون: إشكالية الديانة التوحيدية" لمؤلفه حارث فؤاد البستاني، و"تبقى الفدرالية هي الحل" لمؤلفه الصديق الأنف ذكره د. عماد شمعون.

بالطبع، لأول وهلة، يبدو أنَّ الديانة الكنعانية ليست نفسها الديانة المسيحية؛ وبالرغم من انتشار المسيحية بطريقة سلمية، كانت هناك احتكاكات فظة أحياناً خلال الانتقال من "الوثنية" إلى المسيحية. وبالحد الأدنى اللاهوتي، تُعتبر المسيحية، وفق ما ورد أعلاه (ولا مجال للاستفاضة أكثر هنا)، تصحيحاً لمسار الديانة الكنعانية التوحيدية التي هي برعاية "إيل" والتي انحرفت في مكانٍ ما عند اليهود كما عند الكنعانيين أنفسهم. فجاء يسوع ليُخلص الناس ليس من خلال إلغاء أو استبدال شرائعهم إنما ليخلصهم من غلبة تنفيذ الشرائع تلك على المحبة والرحمة والغفران وباقي التوصيات، كل هذا باسم "إيل"، الاسم الذي كان لا يزال سائداً، ولم يكن قد أصبح لغوياً "ألاً". ولكن ممارسة كثير من الشعائر الجديدة "المسيحية" بدل الشعائر الكنعانية (أو سواها من الشعائر لباقي الشعوب) جاء بسبب فرض الكنيسة الأولى شعائر يهودية وكنعانية بناءً على خلفيتهم، لم تكن مطلباً من يسوع ولا هي اليوم عقائدياً مُعتبرة من الديانة المسيحية بتعريفها الحنيف.

الديانة المسيحية هي المعتقد وتوصيات المسيح. أما تعاليم الكنيسة فيما خصّ الشرائع، فهي تتبدل مع الزمان والمكان وليست عملياً من جوهر الديانة لأنها ليست "منزلة". وبالتالي، إذا استثنينا الشرائع والتعاليم الكنسية، هذا يغذي فكرة التلازم بين التوحيدية الكنعانية على ما كانت عليه وما عاشه الكنعانيون من مسالمة طيلة ألفتات نراها في انتشارهم إلى أقاصي الدنيا دون ضربة كفّ، وبين ممارسة الديانة المسيحية التي هي فقط، وبنهاية المطاف، تطبيق توصيات يسوع إلى أقصى حد ممكن في الحياة اليومية والتي تدور حول المحبة والسلام.

إذن الاستنتاج الرابع هو أنَّ "إيل" و"ألاً" هما أسم واحد بلفظين لنفس "الإله" (خذ مثلاً يوسف / جوزيف).

بالنتيجة، نعم، كما قال الأستاذ حنا، "إنَّ الله ليس إله المسيحيين، واستعمال نفس الاسم لإلهين يوقع المؤمنين بالخطأ، ويؤثر سلباً، حتى على الحياة السياسية". ونعم، كما قال الأستاذ بستاني، "من هنا استدعاء التوحيد لما هو مختلف في الجوهر، بداعي الضلال عبر التأثير اللفظي"، وهذا الاستدعاء قد كلّفنا حروب لأنه يعتمد على نفي وجود تعددية قائمة ويسعى لشمّل الجميع في بوتقة واحدة.

وبهذا يصبح من الضروري التخلي عن مصطلح "الله" لدى الكنعانيين / مسيحيي لبنان، على أن يكون هذا التخلي أصلاً "تحصيل حاصل"، وليس تخلّ فردي منعزل، ضمن تخلّ عن اللغة العربية كلها كلغة فصحي ورسمية وليتورجية وتبني اللغة الكنعانية (أي لغتهم التي يتكلمونها) عوضاً عن العربية التي فُرِضت بقوة الاحتلال ولاحقاً بتخاذل الزعماء المدنيين والروحانيين والتي أودت إلى انضمامهم إلى الجامعة العربية ما أدى إلى ملامتهم على عدم تبني القضايا المسماة "عربية" والتي هي عملياً قضايا إسلامية. ولا مانع في أن تكون اللغة العربية في طليعة اللغات التي يجب أن يكتسبها الكنعانيون من أجل التواصل مع محيطهم، كما يفعلون مع الفرنسية والإنكليزية. استرجاع اللغة على المستوى الفصيح والرسمي والليتورجي\* هو تماماً مشابه لما فعله العرب عندما صقلوا اللغة العربية في القرن السابع أيام أبو الأسود الدؤلي والفراهيدي والكسائي وسيبويه ليتمكنوا من استخدامها كلغة فصحي ورسمية ودينية، وهذا بعدما أمضوا قرن ونصف القرن يستخدمون اللغة اليونانية في المشرق واللغة القبطية في مصر واللغة السريانية في العراق كلغات ديوان الدولة الإسلامية. هذا وقام الأتراك واليهود بعمل مماثل من أجل كينونتهم وهويتهم في القرن العشرين.

\* الموارد دخلوا المسيحية مباشرة عبر اللغة السريانية كلغة ليتورجية بواسطة تلامذة مار مارون واستمر هذا حتى القرن العشرين حين استبدلت باللغة العربية. الروم دخلوا المسيحية بلغتهم الكنعانية ليتورجياً حتى فرض قسطنطين الكبير اللغة اليونانية عليهم بدل اللغة الكنعانية عام ٣٢٨ وفرض المنصور العباسي اللغة العربية عليهم بدل اللغة اليونانية نحو عام ٧٧٠.

أما حول العودة إلى "إيل" أو البقاء على "ألاً"، فقد تختلف الآراء بين الابتعاد قدر الإمكان والاكتفاء بالحد الأدنى. وربما الأفضل الابتعاد والعودة إلى الجذر لأقصى تقادي للالتباس.

الرابط للشعانيين والخبز والخمر:

<https://www.facebook.com/603025178/posts/pfbid034Y9Eqm3PdGGrYafsWC3GnFB1Hy9PCg9tpzbUjb4RFu9qtvjRsoTCA3u3jtu9TYZal/?mibextid=6yaNxA>